وسئل رضي الله عنه في الإسلام والعلم

فى أمر الله الناس بالعلم والتعلم

أمر الله عز وجل المسلمين بالعلم والتعلم إلى أقصى ما يستطيعونه حيث قال : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وقال : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال : (الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علّمه البيان) ، وقال : (ن ، والقلم وما يسطرون) ، وقال : (اقرأ وربك الأكرم ، الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم) .

وكشوفات العلم الحديث من خير ما يوثق صلة العبد بربه ، ويجعله يقر بوحدانيته ، قال تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) ، وحديث إسراء رسول الله ﷺ وعروجه إلى ما فوق سبع سموات يؤكد وجود الله ووحدانيته وقدرته .

والذين صعدوا إلى القمر ، لم يستطيعوا البقاء عنده ولا المكث عليه مدة أطول مما مكثوا ، لأن الذى خلق السموات والأرض وما بينهما جعل لكل عالم ما يناسبه ، ونص فى كتابه على أن الأرض لنا ، ونحن لها ، بحيث لا نستطيع الحياة على كوكب سواها قال تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

وقال سبحانه : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) .

فدلت هذه الآية على أن الأرض لنا ونحن لها ، والسماء لغيرنا وليس لعالمنا .

وحادثة صعود الإنسان فوق القمر ، وعدم استطاعته البقاء فيه من أول الدلائل على صدق ما جاء فى كتاب الله تعالى . .

والله أعلم . . .

فى الحث على العلم

طالب الله بالعلم وحث عليه ، ومن توجيهات القرآن للرسول ﷺ فضلا عن غيره أمره بأن يقول : (وقل رب زدنى علماً) .

ولا يمكن المساواة بين العالم والجاهل فى المنزلة أو المكانة : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

ومن هنا كانت مسئولية العالم كبيرة ، إن خطأه ليس خطأً عادياً ، وإن مسئوليته جسيمة ، وإن العالم إذا زل زل بزلته عالم ، وقد صور الرسول ﷺ موقف العالم الذى يأمر الناس بالخير ولا يقوم بأدائه تصويراً معبراً فيما روى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه .

ومن الآثار الواردة فيما يتصل بقارئ القرآن الذى لا يعمل بما قرأ بل يأتى ما لا يتناسب وهذه القراءة قول بعض السلف : « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » ، يقول : ألالعنة الله على الظالمين وهو ظالم لنفسه . . .

وفى الحديث الصحيح : « القرآن حجة لك أو عليك . . . » أى أن القرآن يشهد لك بالصلاح والتقوى إن امتثلت ما فيه وطبقت العمل على القراءة ، ويشهد عليك إذا تركت العمل بما فيه وانصرفت عن طريق الدين .

ومن هنا كان السلف الصالح يرون فى القرآن : مرآة لأحوالهم وميزاناً لتصرفاتهم ، وكانوا يستحيون من القرآن أن يوجد فى مكانهم ثم يخرجون عما ينبغى من جد فى العمل واتزان فى السلوك ، فعلى هذا العالم أن يتمسك بحدود الدين ، وأن يعمل بما فى القرآن ، وإن خرج عن ذلك أو انحرف وجب تنبيهه .

فى الدين والعلم

إن مسألة الصلة بين الدين والعلم ، انسجاماً واتفاقاً ، أو تعارضاً ونزاعاً — تثار من آن لآخر على صفحات الجرائد ، وفى ثنايا الكتب ، وبين المفكرين فى أنديتهم .

ولقد كتب الغربيون كثيراً فى هذا الصدد ، بل إنهم أول من كتب فيه ، ولكن هذه المسألة تجاوزت الغرب إلى الشرق ، وكتب مفكرو الشرق فيها ، واختلفوا فيما بينهم كما اختلف مفكرو الغرب .

وإن ما كتبه العلامة الفرنسى : «إميل بوترو» بهذا الصدد يعطينا صورة عن هذه المسألة فى الغرب وفى الشرق الحديث ، إنه يقول فى ترجمة المرحوم مصطفى عبد الرازق :

« إن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ ، يثير أشد العجب ، فإنه على

الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ، وعلى الرغم من جهود أعاظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليًا ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ولم ينقطع بينهما صراع يريد به كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب .

على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين . ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنما انعكست الآية منذ ذاك .

وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة ، وشهد بما فيها من قوة الحياة وعنف الصراع .

ونريد فى هذه الكلمة أن نتحدث عن العلاقة بين الإسلام بالذات والعلم ، واتخذنا الإسلام بالذات كمثال للدين :

١ – لأن كتابه المقدس حفظ بصورة هى من الدقة بحيث لا يتأتى فيها الشك ، فالقرآن المتلو الآن – كما يقول المستشرق الفرنسى الكبير الأستاذ (ديومبين) – هو القرآن الذى كان يتلوه محمد فى القرن الأول الهجرى .

وأن الباحث المنصف – كما يقول – لا يجد مناصاً من الإقرار بهذا .

٢ – ولأن حضارته المادية والثقافية والعقلية والروحية التى صدرت عنه ونتجت عن وجوده معروفة إلى حد كبير . .

وموقف الدين الإسلامى من العلم واضح كل الوضوح ، فأول كلمة فى الدستور الإسلامى القرآن : (اقرأ) .

ثم إن الآيات القرآنية التى تحث على العلم وتبين فضل العلماء كثيرة .

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : (وقل رب زدنى علماً) ويقول الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ويقول تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

ومن طريف القراءات فى هذه الآية قراءة لبعض العلماء منهم الإمام أبو حنيفة ترفع لفظ الجلالة وتنصب لفظ العلماء ، وتقول حاشية الصاوى على الجلالين : (والمعنى) إنما يعظم من العباد العلماء ، وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم ، وأتقاهم له ، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى ، فإن الله تعالى أخبر أنه يعظمهم ويجلهم .

أما الأحاديث النبوية فإنها هى الأخرى كثيرة ، من أجمعها الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى ، يقول صلوات الله عليه وسلامه :

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها

لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وأن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر » .

وقد دفع هذا الاتجاه – فى القرآن الكريم وفى الأحاديث – المسلمين إلى المباحث العلمية فى جميع نواحى الحياة : روحية أو عقلية أو مادية ، ونشأت من ذلك : الحضارة الإسلامية التى أنتجت أمثال : جابر بن حيان فى الكيمياء وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وابن سيناء فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ . . . . وكثيرين غيرهم .

وقد أشاد كثيرون من منصفى الغربيين بالحضارة الإسلامية وبمناهجها . يقول « غوستاف لوبون » ويعزى إلى بيكون : على العموم ، أنه أول من أقام بالتجربة والملاحظة اللتين هما أساس المناهج العلمية الحديثة . ولكنه يجب أن نعترف ، قبل كل شىء ، بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .

ويقول العلامة الشهير «هميولد» بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة هو أرفع درجة فى العلوم : « إن العرب ارتقوا فى علومهم إلى هذه الدرجة التى كان يحملها القدماء تقريباً » .

وإن مؤرخى الحضارة الغربية يعترفون بأن المبشر الأول بالعلم التجريبى إنما هو « روجر بيكون » ويعترفون بأن آراءه فى العلوم أصدق وأوضح من آراء « فرنسيس بيكون » يقول الأستاذ « دوهرنج » : « إن آراء روجر بيكون فى العلوم أصدق وأوضح من آراء سميه المشهور » .

وهذا العلم التجريبى هو – دون جدال – الأساس الذى قامت عليه الحضارة الأوربية والأكثرية العظمى من مؤرخى الحضارة الأوربية يعزون هذا المنهج على الخصوص إلى روجر بيكون ، وفرنسيس بيكون ، ولكنّ عالماً من علماء الغرب الممتازين بعد أن درس دراسة عميقة بحث بحثاً مستفيضاً ، انتهى به الأمر إلى تقرير حقائق كان يجب على الشرقيين أن يعرفوها من زمن بعيد ، هذا العالم هو الأستاذ بريفولت ، إنه يقول فى كتابه الذى ألفه تحت عنوان : بناء الإنسانية : « إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربى والعلوم العربية فى مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس ، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجر بيكون إلاّ رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة

العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى هى طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية ، وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشاراً واسعاً وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوربا[1] .

ويستفيض الأستاذ « بريفولت » فى تصوير ما كان عليه العرب من العبقرية فى العلم والحضارة ونجد طرفاً من ذلك فى الكتاب الذى ألفه الدكتور محمد إقبال تحت عنوان : (تجديد الفكر فى الإسلام) .

ويقول الدكتور إقبال ما نصه :

« ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله فى العلوم ؟ من الجامعات الإسلامية فى الأندلس .

« والقسم الخاص من كتابه الذى خصصه للبحث فى البصريات هو فى حقيقة الأمر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم . وكتاب بيكون فى جملته ، شاهد ناطق على تأثره بابن حزم » .

هذه الحقائق التى قدمناها عن حضارة العرب : منهجاً وعلماً : أصبحت من الذيوع والشهرة لدى المنصفين ، بحيث لا نحتاج إلى التوسع فى الاستدلال عليها.

ويتبين لنا مما سبق أن الإسلام :

١ – يحث على العلم ، ويشجعه ، ويدعو إليه ، ويأمر بالاستزادة منه .

٢ – وأن روح الإسلام هذه أنتجت حضارة مزدهرة عمت جميع أقطار الحضارة وجوانبها مادية كانت تلك الجوانب أو عقلية ، أو روحية .

إذا كان موقف الإسلام من العلم : هو ما بيننا ، فما هو موقف العلم من الإسلام ؟

إن موقف العلم من الإسلام – باعتبار الإسلام مثلاً صحيحاً للدين – إنما هو فى حقيقة الأمر تصوير لموقف العلم من الدين الحقيق .

وهذا الجانب من البحث هو من الوضوح بحيث ما كان ينبغى أن يكون فيه جدال ولا مناقشة ، ذلك أن العلم وممثليه الحقيقيين : يعترفون فى صراحة لا لبس فيها ، وفى وضوح لا خفاء فيه بأن دائرة أبحاثهم إنما هى المادة ، إنما هى المحس ، وأنهم يعتمدون فى ذلك على التجربة وعلى الملاحظة .

إنهم يعتمدون على الاستقراء على وجه العموم ، وليس الاستقراء إلا تتبع جزئيات محسة تتبعها بالملاحظة أو بإجراء التجارب عليها .

---

(١) من كتاب تجديد الفكر الدينى فى الإسلام ، ترجمة عباس محمود ص ١٤٩ .

والمنهج العلمى إذن ، إنما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة ، وإذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس للعلم مطلقاً دخل فى أمور الدين : إثباتاً وإقراراً ، أو نفياً وإنكاراً ، وإذا ما قال قائل : إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية ، فإنه يكفينا منه هذه الكلمات لنسحب ثقتنا به كعالم ، وإذا ما قال : إن العلم ينكر كذا من الأمور الروحية فإن هذه الكلمة تكفى أيضاً لسحب ثقتنا به كعالم ، إذ إن العلم فى المجال الروحى لا يثبت ولا ينفى ، وهذا واضح مما سبق أن ذكرناه .

ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه فى ارتباط الكون وتنسيقه ، وإبداعه والتناغم الذى يسوده ، والدقائق الباهرة التى يبينها علم التشريح مثلا فى التركيب الحيوانى .

قد يتيح العلم من كل ذلك لعلماء الدين مواد يبنون عليها تذكيرهم وعظاتهم ، وبيانهم أن العالم لم يكن نتيجة المصادفة العمياء أو الاتفاق الأصم ، ويبينون من نتائج العلم أن الآيات فى مجال المادة نفسها تشهد أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء .

فى معنى قول الله تعالى : (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . . .) الآية

معنى قوله تعالى : (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) إنما يفهم من سياق ما قبله من الآيات إن سورة الرحمن من السور التى تتوجه بالخطاب إلى الجن والإنس ، وتذكر مظاهر قدرة الله وعظمته وقهره لجميع خلقه ، والآية التى معنا تتوجه إلى الجن والإنس بالخطاب وتبين عجزهم وضعفهم أمام قدرة الخلاق العليم .

فالجن والإنس محصورون فى السموات والأرض ، وليس فى استطاعتهم تجاوزهما أو النفوذ منهما ، وفى قوله تعالى : (إن استطعتم . . . فانفذوا) تهكم بهم وإظهار لمدى ما هم عليه من ضعف .

وفى التعبير (انفذوا) بيان لاحتياج الخروج إلى التغلب على موانع عديدة ، على الإنسان أو الجان أن يتخلص منها ليتحقق له النفاذ ، ولن يتأتى له ذلك .

فالآية تفيد أن الجن والإنس محصورون فى مجال معين ، وفى نطاق خاص لا يمكنهم تجاوزه ، وهم مقهورون على ذلك . وعليهم الإقرار والاعتراف والإذعان لقدرة الله تعالى .

وقد بين الله سبحانه أن النفاذ من أقطار السموات والأرض يتأتى بالعلم يقول سبحانه :

(لا تنفذون إلا بسلطان) والسلطان فى الآية الكريمة معناه العلم ، وعلى ذلك فإن كل ما نراه من غزو للفضاء ، ونزول على الكواكب لا يتعارض مع الوضع القرآنى فى كثير ولا قليل ، بل إن القرآن يحث عليه ويدعو الإنسان إلى الوصول فى أجواء السماء إلى الحد الذى يستطيع ، وإلى الغوص فى أعماق الأرض إلى الحد الذى يستطيع كذلك ، وذلك أن الله سبحانه يمن علينا بأن سخر الكون كله لنا ، ونص على تسخير الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء .

وعلينا أن نستجيب إلى امتنانه سبحانه فنسخر ما سخر لنا ، فإذا سخرنا الكواكب لفائدة الإنسانية فإننا نكون مستجيبين للتوجيه الإلهى . .

والله أعلم . .

هل القناعة بالعلم النظرى – فى هذه الآونة – قد تحدث انفصاماً بين الحياة والدين ؟

عرف الإسلام قيمة العلم ، وحث عليه ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وعظم العلماء العاملين المخلصين ، وقرنهم معه سبحانه ، ومع ملائكته المطهرين : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) .

ولم يفرق الإسلام بين علم نظرى وعلم عملى ، بل دعا إلى كل ما فيه العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وما فيه خير البشرية ونفع الإنسانية .

وسخَّر الله كل ما فى الكون للإنسان ، ودعاه إلى التفكير والتدبير والتعقل وجولان النظر فيما خلق الله تعالى ، للعبرة واستنباط ما فيه الخير لنفع البشرية .

وكما عبر بالإنزال عن كتابه سبحانه لإقامة الحق والعدل بين الناس ، عبر عن الدعوة إلى الانتفاع بالحديد والمعادن ومافى حكمها بالإنزال ، حتى يتذكر المسلمون بأن القوة مطلوبة ، وأن العزة مطلوبة ، وأن التكامل الاقتصادى أيضاً مطلوب ومرغوب ، يقول تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إنّ الله قوى عزيز) .

والأزهر يدرِّس – للتخصص – العلوم النظرية فى بعض كلياته – ويزاوج بين العلوم العملية والنظرية فى بعض كلياته الأخرى .

ولم يقل أحد أن القناعة بالعلوم النظرية مطلوبة فى هذه الآونة ، بل لابد من هذا وذاك . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

تحدث الإنجازات العلمية التى تطالعنا كل يوم تأثيرات متفاوتة على العقيدة الدينية ، فكيف نعزز حجتنا الدينية بقيمة علمية تتواءم وهذه الإنجازات ؟

الحضارة الحديثة والإنجازات العلمية المعاصرة تقوم على أساس من العلم ، وتمكن الإنسان من تيسير أمور الحياة ومتعها ومنافعها ، والإسلام يقدر العلم حق قدره (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

ويقول ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » لأن العالم قلما يجنح عن الصواب فى عبادته ، والإسلام لا يفرق بين علم وعلم ، ما دام ينفع البشرية وخيرها . والإسلام بذلك يقر الدعامة الأولى التى تقوم عليها الحضارة الحديثة ، والإنجازات العلمية الرائعة ، وليس على الإنسان من شائبة فى أن ينتفع ويستمتع بمتع الحياة الدنيا ومباهجها ما دامت فى حل واعتدال وإنسانية : (قل مَن حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون) .

فأباح الإسلام التمتع بها ، بشرط ألا تتحول إلى سرف ، ومصدر هلاك وشقاء فتخرج عن طبيعتها ، لأن التمتع بها موضع للاختبار والابتلاء أيضاً .

ويحذر الإسلام من أن تصبح هذه الإنجازات مصدر فتنة له ، وأن يخدع بها ، أو يهلك بها نفسه أو غيره ، ويحذر من سيطرتها على الإنسان حتى يطغى بها فيضل وينسى نفسه ويطغى بسيطرتها عليه ، أو يطمس معالم الجانب المشرق الروحى فى الإنسان أو انكماشه ، حتى تضيق دائرته وتضمحل .

فالإسلام يدفع إلى التطور والحضارة ، ويقف موقفاً إيجابيًا ، ولكنه يحذر من سلبياتها وأخطارها .

وإذن : إذا قصد بالتقدم والاكتشافات السمو والتهذيب الإنسانى ، فالإسلام يدعو إليه ، وإذا قصد به الانحلال والتسلط والاعتداء والطغيان فهو برىء منه ومن نزعته هذه .

ولنتدبر مليًّا قوله تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا

الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . إنَّ الله قوى عزيز) .

فالقرآن يسوى بين إنزال الله تعالى لأحكام العدل والهداية . . وإنزال الحديد (بلفظ الإنزال) لتساند القوة المادية القوة المعنوية ، فتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وليكون المسلمون أعزة وأقوياء ، وأصحاب متعة ، ويتصفوا بصفات الله كما فى ختام الآية . .

فى الإنجازات العلمية الحديثة

الإنجازات العلمية الحديثة تقوم على العلم ، والإسلام يقدر العلم والعلماء فى مختلف القطاعات والفروع ، ويدفع الإسلام إلى الحضارة والتقدم والرقى لخير الإنسانية ، ويحذر من الطغيان والاعتزاز ، والإضرار والضرر بها ، وحين يكون للمسلم قوة العلم والعمل تكون العزة والكرامة والتكامل والغنى ، يقول تعالى :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ويقول جل شأنه : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

فى المعجزة والعلم

المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقاً له فى دعواه ، ويلاحظ أن المعجزة – من اسمها – تعجز الغير عن الإتيان بمثلها – وأنها من الله القوى القادر القاهر ، وأنها ليست عادية ، لا تخضع للأسباب الظاهرة ولا العلمية ، ولا تكون إلاّ على يدى النبى من أنبياء الله ، فكيف يتأتى للعقل البشرى القاصر المحدود والمخلوق والذى يدور فى فلك معلوم ومحدود ، كيف له أن يحكم على المعجزة بالإمكان وعدمه ؟ إن العاقل لا يعرف ماهيته ، وعليه أن يلزم حده ، ونحن نؤمن بالمعجزات ووقوعها لأنبياء الله تعالى ، والله على كل شىء قدير .

فى الصوفية والعلم

الصوفية الصافية هى التى تلتزم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله قولا وعملا وإخلاصاً ، ويحيون فى ظل الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده أساسه التوحيد الخالص ، ومراقبة الله فى السر والعلن ، وتكوين الضمير القائم على خشية الله ، وحسن الصلة والخلق بين الناس ، وجعل الله تعالى قبلتهم

فى كل شىء ، وجعل الدنيا مزرعة الآخرة ، والمادة عندهم فى أيديهم لخير الناس ونفعهم وليست فى قلوبهم .

وإذا كانت المبادئ ، الوافدة والمستوردة قد أفسدت وضلت وأضلت ، وإذا كان الإلحاد قد استشرى ويقوم به أناس تربوا فى حجر المستعمر وعلى موائده ، وليسوا مواطنين صالحين ، لأن ولاءهم لغيرهم ولغير الله والوطن ، فإن الحاجة ماسة إذن لوجود تيار إيمانى ، يعمل بكتاب الله وسنته ، ويقاوم المادية الملحدة ، والله الموفق .

فى حث الإسلام على العلم

الإسلام يحث على العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وعرف قدر العلم والعلماء (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ؟ ولا يفرق بين علم نظرى وعلم عملى ، بل يدعو إلى كل فروع العلم والمعرفة والعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، والله سبحانه قد سخر كل ما فى الكون للإنسان ، ودعاه إلى التفكير والاستنباط والانتفاع .

والأزهر يزاوج بين العلوم الدينية وغيرها من العلوم العملية . ولم يقل أحد بأن القناعة بالعلوم النظرية مطلوبة ، لأن هذه نظرة قاصرة والله تعالى أعلم .

فى اشتراط العلم فى الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ومسلمة بالقول والعمل ، ويدعو الإسلام إلى العلم ، والتفقه ، وإعداد نفر للدعوة إلى الحق والخير والسلام (فلولا نفَر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لعلهم يحذرون) . ويشترط فى الداعى : الإخلاص أولا ، والقدوة الصالحة ، والثقافة الواسعة ، والرؤية المستنيرة ، والتسلح بعلوم العصر ، والإلمام بلغة أجنبية ، وحب الموقع والعمل ، والاستعداد للعمل والجهاد ، والنفاذ إلى روح الدين ومغازيه . . ولقد افتتحنا بحمد الله كلية للدعوة فى طنطا ، وسنفتح أخرى بالقاهرة ، ونرجو أن نحصل منهما على الداعية الواعى المستنير ، والله الموفق .

فى معنى الروحية والمادية

معنى الروحية : إدراك المعانى الإنسانية المهذبة الفاضلة ، والتمثل بالقيم الدينية الرفيعة ومراعاة تعاليم الكتاب والسنة ، وإيثار ما هو خير وأفضل عند الله ، والخير والحق ، والجمال ، والإيثار ، (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) والإسلام يدعو إلى ذلك لأن فيه عمار الكون ، وسعادة البشر ، ورضاء الله ، وقد أفلح من تزكى .

ومعنى المادية : الاتجاه إلى المادة ، والوقوف عندها وحدها : فى الجاه ، والمال ، والولد ، والمتع الدنيوية ، والاستغراق فى حب الدنيا ، والغفلة عن الآخرة ، وكل ما من شأنه أن يرقى الإنسان . والإسلام وسط : لا يحرم الاستمتاع بالمادة ، ولكن فى وسط واعتدال ومن وجه حلال يحلها : (قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وإنما يحرم الإسلام المادية الطاغية ، والماديين المغالين ، ويصفهم بأنهم:(الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا) . فالإسلام يفضل الجانب الروحى ، ويجعل الجانب المادى لخدمته ورقيه ، والله الموفق .

فى الثقافة الأصيلة

الثقافة الأصيلة للمجتمعات الإسلامية والعربية ، هى الثقافة الإسلامية ، ووعائها العربى ، وغيرها دخيلة ، ووافدة أو مستوردة . ومن يحد عن الثقافة الأصيلة ينس نفسه وماضيه ، ويقع فى حيرة واضطراب .

ولقد حرص الاستعمار وأذنابه من بعده على زرع أجساد غريبة فى جسم العالم الإسلامى والعربى لتظل مرتبطة به ، وتبقى بعيدة عن هدى السماء وعن مصادر ثقافتها الأصيلة .

وقد آن الأوان لأن تسترد هذه الثقافة عرشها المسلوب وتتبوأ مكانتها اللائقة بها فى بلادها فى عصر العلم والإيمان ، وعلى رأس وزارة التربية والتعليم [1] رجل فاضل وخير كريم ، أسهم فى إنعاش الثقافة الدينية فى المدارس ، وزاد فى أوقاتها ، وبقى أن يعرف ذلك طريقه إلى الجامعات وسائر أجهزة الدولة ، ليتحقق التكامل والفائدة ، فإن المجتمعات المادية والملحدة شقيت تماماً ، برغم التقدم العلمى ، ولن تسعد إلا بالروحية المهذبة الفاضلة .

---

(١) يعنى الدكتور مصطفى كمال حلمى الوزير العالم إذ كان يعلق عليه الإمام رحمة الله آمالا كبيرة فى أن تأخذ التربية الإسلامية حظها فى عهده وعلى يديه .. وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

فى الإلحاد

الإلحاد أثر من آثار الاستعمار وأثر للعلمانية ، وأثر للشيوعية التى تنكر وجود الله ، وتهزأ بالأديان ، وتسخر من رجالها حتى يتفلت الشباب والغوغائية من ربقة الدين ، والسير فى طريق الحيوانية ، والهبوط إلى مستوى لا يليق بالإنسان . .

ومقاومة الإلحاد يتطلب تضافر الجهود من الدولة بأجهزتها المختلفة ، والعناية بتدريس الدين وإعداد الداعية الواعى البصير القادر ، والدعوة الصادقة من كل إنسان مؤمن لنفسه وآله ومحيطه إلى خير العمل ، وإلى سبيل الله السوى ، وتبنى الكتاب الصالح والدعوة الطيبة والكلمة الحسنة ، والقدوة الخيرة .

وأيضاً إلى مقاومة الفساد ، وتقليم أظفاره ، وإبعاد أصحابه عن مجال التوجيه ، وتحديد إقامة الكلمة الشريرة ، وتطبيق شرع الله ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

فى مباركة الله مجالس العلم

يبارك الإسلام مجالس العلم – وتحفها الملائكة ، ويغفر الله لحاضرها ، ولقد كانت للندوات الدينية ومجالس العلم حظ كثير بين الخلفاء والعلماء والملوك المسلمين الصالحين العاملين ، والصالون إذا تحول إلى منتدى دينى أجدى بكثير من استعماله فيما لا فائدة فيه ، أو ما يجلب سخط الله وغضبه . . . وحبذا لو تحولت كل الصالونات والنوادى والساحات والملاعب والمساجد إلى ندوات دينية وعلمية لتزدهر الحركة العلمية والدينية ويعم نفعها بإذن الله .

الأزهر حصن للثقافة الإسلامية

الأزهر حصن للثقافة الإسلامية والعربية أكثر من ألف عام . وبذلك حفظ للمسلمين تراثهم والتقت فيه العروبة والإسلام فى محيط الثقافة التى أفاضها القرآن ، وصارت وحدة قوية إلى أن أوقع بينها المستعمر والعدو . . ووفدت إلى الأزهر وفود من شتى أنحاء الأرض ، تنهل من معينه ، وتعود بالخير لبلادها ، وبالأزهر كليات مختلفة تحت اسم (كلية البنات الإسلامية) للعناية بالمسلمة واستقام أمر هذه الكليات ، ويفد إليها كثيرات من البلاد الإسلامية ، وأقبل عليها المسلمات بشكل

رائع لعدم الاختلاط فيها ، واستقبلت الدولة والبلاد العربية خريجاتها بقبول حسن ، وقد توسع الأزهر فى إنشاء المعاهد الثانوية والإعدادية والابتدائية للبنات ، لتكون روافد طبيعية لهذه الكليات والتى أعددنا لها لتكون فرعاً لجامعة الأزهر ، ولتتسع للأعداد اللازمة لإعداد الفتيات المسلمات إعداداً لائقاً بهن ، ويناسب دورهن فى الحياة بإذن الله . . والله الموفق والمعين .

فى حكم الإسلام فى نزول الإنسان على القمر

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : (الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، وسخّر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار ، وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخّر لكم الليل والنهار) .

من هذا نعلم أن القمر سخره الله سبحانه وتعالى لبنى آدم وفى ذلك حث لهم على أن يصلوا إلى السيطرة عليه باكتشاف القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى لتسخيره ، ليطوعه لهم ليستفيدوا منه ، وليزدادوا إيماناً بالله سبحانه وتعالى مبدع الكون وبارئه على أحسن نظام وأبدع تكوين .

فإذا وصل الإنسان إلى القمر ونزل على سطحه وسار فوقه وانتفع بما خلقه الله فيه ، فإنه بذلك يكون قد انتفع بما سخره الله له .

ومن الواجب حينئذ على الإنسان الذى يصل إلى القمر أن يشكر الله على هذه النعمة التى أنعم بها عليه ، وهى أن قدر على الوصول إلى القمر ، وشكر هذه النعمة باستعمال هذا الاكتشاف الجديد فى كل ما يعود على البشرية بالخير والسعادة ، لا فيما يدمر العمران ، ويقضى على بنى الإنسان ، أو فيما يعود على العالم بالشر من الاستعلاء والاستعباد للإفساد ، فإن ذلك كفر بنعمة الله وابتغاء للإفساد فى الأرض ، والله لا يحب المفسدين .

ولقد حرص الإسلام على نفى ماكان فى الأعصر القديمة من أن الكواكب آلهة ، أو أنها مقدسة ، وبين أنها كغيرها من المخلوقات من نبات وحيوان وجبال وبحار من مخلوقات الله ، فقال سبحانه وتعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) .

الكواكب من مخلوقات الله سبحانه وتعالى مثلها كمثل بقية المخلوقات ، وعلى الإنسان أن يبذل كل ما يستطيع فى سبيل استكمال المعرفة بها .

ما حكم الإسلام فى إرسال الأقمار الصناعية إلى القمر ؟

إنه ليسرنا أن نجيب عن هذا السؤال الذى يدور فى أذهان كثير من الناس الآن ، وموقف الإسلام من هذا الموضوع إنما هو موقفه من العلم ، ولقد حث الإسلام المسلمين على التزود من العلم فى صور وأساليب بلغت حد الروعة ، والقرآن الكريم هو الذى بين أن العلماء يشهدون « التوحيد » مع الله ومع الملائكة ، وشهادة التوحيد هى قمة الدين الإسلامى ، والقرآن الكريم هو الذى طلب إلى الرسول ﷺ أن يدعو الله قائلا : (ربى زدنى علماً) .

والعلم الذى يقصده الإسلام هو العلم الروحى والعلم المادى ، إنه العلم بالكون وما وراء الكون ، إنه العلم بالمادة وما وراء المادة .

ولقد أنبأنا الله سبحانه وتعالى : بأنه سخر لنا الأرض والسماء ، وما بين الأرض والسماء ، لقد سخر لنا سبحانه وتعالى البحار والأنهار والجبال ، وسخر لنا الشمس والقمر والكواكب ، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفعنا إلى امتلاك ذلك كله والسيطرة عليه بالعلم والمعرفة والتجارب والملاحظات .

فإرسال الأقمار الصناعية إلى القمر إنما هدفها زيادة المعرفة بسنن الله الكونية ، وفى ذلك زيادة للمعرفة بقدرة الله وعظمته .

ويجب على الأقطار الإسلامية أن تسهم فى غزو الفضاء ، وفى إرسال الأقمار الصناعية إلى القمر ، وإلى غير ذلك من الكواكب ، ويجب عليها أن لا تقف مكتوفة الأيدى متفرجة أمام هذا التقدم العظيم فى العلم ، وإنما يجب عليها أن تأخذ فى طريق معرفته وتحقيق المساهمة فيه وتطويره ، فإن كل ذلك إنما هو تحقيق لهدف القرآن الكريم الذى يقول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات) وتحقيق لهدف السنة النبوية الشريفة التى تقول : « من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة » .

والاكتشافات الحديثة من أوضح الأدلة على وجود الله ، لأن هذه الاكتشافات تُظهر إبداعاً وتنسيقاً وعناية وحكمة لا تدع مجالا للمصادفة أو الاتفاق وإن انتفت المصادفة ثبت وجود الله .

يمتنع بعض الناس عن التداوى والذهاب إلى الأطباء قائلين إن الشافى هو الله فما رأى الدين فى ذلك ؟

إن العقيدة الإسلامية هى أن الله سبحانه وتعالى هو الشافى ، يقول الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم : (وإذا مرضت فهو يشفين) وذلك لا خلاف فيه . بيد أن الشفاء لا يختلف عن غيره من الأمور التى جعل الله لها الأسباب وأمرنا باتخاذها ، وأن نواميس العالم التى هى من صنع الله أن لكل مسبب سبباً ، والشفاء إذن مسبب له سبب ، ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى : « تداووا عباد الله ، فإن الله لم يضع داءً إلاّ وضع له دواءً ، غير داء واحد . . قيل يارسول الله : وما هو ؟

قال الهرم » .

وروى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ قال :

« لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواءُ الدّاءَ ، برأ بإذن الله » .

ويؤكد رسول الله ﷺ قانون الأسباب والمسببات فيقول فى صراحة : « إن الله لم ينزل داء إلاّ أنزل له دواء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إلا السام وهو الموت » .

فى الكتب الجنسية

لقد حث الدين على العلم ورغب فى التزود منه ، ودعا إلى كل ما يوسع المدارك ويزيد فى ثقافة الإنسان وينفعه فى دينه ودنياه .

وهذا كله إنما ينطبق على العلم النافع والثقافة المفيدة .

والكتب الجنسية كلها إثارة وتشجيع على ارتكاب الفاحشة ، إن لم يكن ذلك بصريح عباراتها ففى شرحها للعملية الجنسية وما يترتب عليها مما يدفع القارئ إلى تقليد ما يقرأ أو تطبيقه .

ولا شك أن قراءة مثل هذه المعلومات من أخطر ما يكون على سلوك الشباب والفتيات ، لإثارتها الغرائز ، وإشاعتها للفاحشة .

وما انتشرت الفوضى والإباحية إلا بعد أن انتشر هذا النوع من الثقافة بين شبابنا وفتياتنا .

فواجب المربين التحذير منها ، والحث على الابتعاد عنها لنضمن شباباً سليماً من الانحرافات .

وإنّ فى كثير من الكتب النافعة التى تحث على الفضيلة وتشجع على البطولة والوطنية أو تزيد المعلومات والمدارك ، إن فى كل ذلك لغنًى عن هذا الفساد .